**المحاضرة السادسة**

**الأمثال الشعبية:**

**الدكتورة : كاهبة باية**

**توطئة :**

الأمثال أحد أشكال الأدب الشعبي المميزة والمتميزة ،وهي جزء من التراث الشعبي الحافل بتجارب الإنسانية الحاملة في ثناياها قيّما و مبادئا و وحكما وعادات ومعتقدات ،عدّت سبيلا ومنهاجا يسير على دربه المجتمع الشعبي حوصلة لخبراته وخلجاته في مختلف مناحي الحياة ، فتعبر عن عواطفهم ومشاعرهم ، عن عقلياتهم وعن أفعالهم وانفعالاتهم ،عن نفسياتهم وآرائهم ومواقفهم في شتى المجالات .

 والمثل قول معروف عباراته قصيرة ذات معنى عميق ودلالات واسعة ،يحتوي أفكارا وقواعد من السلوك البشري ، نجم أو نتج ونبع للوهلة الأولى عن شخص فرد ينتمي لعامة الناس في ظرف ما ، ولكن سرعان ما انتشر وشاع بين أفراد المجتمع يقولونه ويتلفظون به في مختلف المناسبات التي تشبه الحالة التي قيل فيها للمرة الأولى ،وقد تناول عديد الباحثين والدارسين المثل وأولوّه عناية كبيرة ، وقسطا وافرا من اهتماماتهم ؛ونذكر من بينهم ابن منظور في كتابه " لسان العرب" ، والمفضل الضبي الكوفي في كتابه "كتاب الأمثالّ" ، أبو هلال الحسن العسكري في كتابه "جمهرة الأمثال" و كتاب " مجمع الأمثالّ" لأبي الفضل بن محمد الميداني الذي جمع فيه أكثر من ستة ألاف مثل عربي...

 **مفهوم المثل لغة واصطلاحا :**

يقول ابن منظور في كتابه لسان العرب : مثل - بكسر الميم – كلمة تسوية ، يقال هذا مثله ومثله – بفتح الميم – شبهه وشّبهه بمعنى قال ابن الأنباري : الفرقبين المماثلة والمساواة ، أن المساواة نكون بين المختلفين في الجنس والمثقفين ، لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص ، وأما المماثلة فلا تكون ألا في المثقفين ، تقول : نحوه كنحوه ، وفقهه كفقّهه، وكونه ككوّنه ، فإذا قيل : هو مثله على الإطلاق فمعناه أنه يسد مسدّه ، وإذا قيل هو مثله في كذا فهو مساو له في جهة دون جهة "1.

والمثل بهذا هو المشابهة والمماثلة والمطابقة بين الأمرين وهذا أيضا ما أورده أبي هلال الحسن العسكري في "جمهرة الأمثال" فيقول : الأمثال نوع من العلم منفرد بنفسه لا يقدر على التصرف فيه إلا من اجتهد في طلبه حتى أحكمه ، وبالغ في التماسه حتى أتقنه ، وليس من حفظ صدرا من الغريب فقام بتفسيره قصده وكشف أغراضه وخطبه قادرا على أن يقوم بشرح الأمثال والإبانة عن معانيها ، والإخبار عن المقاصد منها ، وإنما يحتاج في معرفتها مع العلم بالغريب إلى الوقوف على أصولها والإحاطة بأحاديثها ..."2.

وهذا التعريف أيضا يركز على انفراد المثل بذاتها وفي ذاتها ولا يتمكن من الخوض فيه إلا كل متمرس خبير مجتهد في عمله ، إما الميداني فيعرفه بقوله : إن أصل المثل التماثل بين الشيئين في الكلام كقولهم : كما تدين تدان ، وهو مثل قولك : هذا مثل الشيء ومثله ، كما تقول شبيهه وشبهه ، ثم جعل كل حكمة سائرة مثلا ..."3.

والمثل هو : الشبه ، النظير ،العبرة ، الصفة ، الجهة ..4

 أما في الاصطلاح فالمثل له دلالات وتعريفات كثيرة حرص أصحابها على تبيان صفاتها وميزاتها ، ولعل أبرز هذه التعريفات تعريف الدكتور رابح العوبي : هو " قول سائر أو مأثور ، فرضي أو خرافي يتميز بخصائص ومقومات ،فهو يدل في صميمه على ما يمثل به الشيء دون تغيير في المعنى ، مع مخالفة لفظه للفظ المضروب الذي قام مقامه على وجه تشبيه حال الذي حكى فيه بحال الذي قيل لأجله ، وهذا تشبيه بالمثال الذي يعمل عليه غيره 5".

كما عرفه أيضا بأنه : " قول محكي سائر ، أو جملة منقطعة من كلام ، أرسلت لذاتها ، وهي تنقل ممن وردت فيه إلى ما يحاكيه في معنى من المعاني ،أي معنى كان وعلى هذا يكون المثل السائر من ألفاظه المشابهة "6 ،بمعنى أن المثل يراد به معنى من وراء معنى آخر وذلك من خلال مشبه ومشبه به ، ومعنى هذا يحصل عن معاني ذلك أيا كان التشبيه وأيا كانت الطريقة .

ويعرفه زايلر على أنه : "هو القول الشعبي الجاري على ألسنة الشعب الذي يتميز بطابع تعليمي وشكل أدبي يكتمل ويسمو على أشكال التعبير المألوفة "7 بمعنى أنه الكلام الذي يشيع بين الناس ويتداولونه على ألسنتهم ، ثم ذكر زايلر أهم خصائصه ؛ وهي الطابع التعليمي التربوي والذي يترك قيما تعليمية وتربوية لدى العامة والخاصة ، هذا الذي يجعله راقيا ومكتملا عن بقية الأجناس الأخرى .

وفي كتاب : " فنون الأدب الشعبي" لأحمد رشدي صالح يرى بأن الفلكلوريون يعتبرون :" المثل واللغز أكمل النماذج على عبقرية الفلاحين وبلاغتهم "8، وهذا تقريبا ما ذهب أليه زايلر عدا أن هذا الأخير يعبر عن عبقرية الفلاحين وبلاغتهم أما الأول فيعتبره فنا متكاملا .

وتعد كل هذه التعريفات و إن وصفت الدلائل الظاهرة للمثل الشعبي من الناحية الشكلية، و الأدبية إلا أن المثل لا يحقق هذا الغرض فحسب إلا أنه أداة تصف الواقع الاجتماعي في مراحله المتعاقبة.

 وقد ضرب الله سبحانه وتعالى الكثير من الأمثال ، من أجل التذكير حينا أو الوعظ والإرشاد ، الزّجر، الاعتبار ، والتقدير ، وهو مثل لكونه ماثل بخاطر الإنسان أبدا فيتأسى به مرات ، ويتعظ أخرى ، ويخاف ويخشى أحيانا ، ويرجو ويطمح ويأمل أخرى ، ونجده في القرآن الكريم في قوله تعالى : " واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنّا إليكم مرسلون ، قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمان من شيء إن أنتم إلا تكذبون .8"

ويقول تعالى : " مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون "9.

ويقول عزّوجلّ : " واضرب لهم مثل الحياة الدّنيّا كماء أنزلناه من السّماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا "10.

 ولأن الأمثال الشعبية تحاكي كل العقول على اختلاف أنماطها وثقافتها ، كما إنها تمتاز بربط الجيل الحالي بالجيل السابق ، ولكونها تعبير عفوي عن مواقف و أحداث موجزة بليغة كانت ولا تزال خلاصة لتجارب وحكم الأجيال السابقة واللاحقة ، فإن المثل قد ارتبط منذ نشأته الأولى بالإنسان ، وامتد في حياته وبأدق تفاصيلها .

**-نشأة المثل الشعبي:**

تعد التجربة الإنسانية أساس الإبداع والإنتاج الثقافي ولاسيما الشعبي منه ، : " وارتبط تاريخ نشأة المثل الشعبي بنشأة اللهجة العامية في مختلف الأقطار العربية المختلفة ، فالبعض يرى أن اللغة التي وصلتنا عن الجاهلية وصدر الإسلام وعصر الدولة الأموية والعباسية ، ليست لغة عامة ، وإنما لغة خاصة ، لغة الشعراء والكتاب ، أما العامة فكانوا يتحدثون لغة أو لهجة عامية ، نشأت من تزاوج العربية الفصحى ببعض اللّهجات الدخيلة عليها ، وأن الكتاب كانوا يفصّحون ما يروى على ألسنة العامة في كتبهم "11، وهناك رأي آخر يرى أن الأمثال قد وجدت منذ العصر الجاهلي ، " فقد شهدت الثقافة العربية اهتمام كبير بجميع تراث الأمثال في اللغة العربية فقد كانت الأمثال حكمة العرب في الجاهلية ، وبعد ظهور الإسلام ظهرت مسافات عديدة في هذا المجال ، أما في المغرب فقد حملت شريحة من المثقفين الولوعين بالثقافة الشعبية على جمعها وتدوينها اعتبارا للأعداد الهائلة من الأمثال التي يتداولها المغاربة سواء باللغة العربية العامية أو بالأمازيغية ، والتي تعبر عن الغنى والتنوع الثقافي لمختلف الأنماط المغربية "12.

 المثل نمط قديم رافق الشعوب منذ القدم غير أنه من الصعب تحديد تاريخ معين لنشأته وذلك أن المثل لا يصير مثلا إلا بعد أن يسير وينتشر بين أفراد الشعب ، وهذا لا يتأتى له إلا بعد فترة زمنية ، قد تطول ، ويرى زايلر أن المثل الشعبي قد نطق به فرد في زمن معين ، وفي مكان ما فإذا مسّ المثل حسّ المستمعين له ، فهو حينئذ ينتشر بينهم ، وكأنه عبارة ذات أجنحة ، وعندئذ يتعرض المثل إلى التحوير والتهذيب حتى يوضع في قالبه القانوني بوصفه مثلا شعبيا ، ...وهو خلق فردي ينتشر بين أفراد الشعب قبل تحريره وقبل أن يتخذ شكله الأدبي الخاص ...والمثل لا يصبح عبارة ذات أجنحة إلا عند انتقاله لمرحلة ثانية وهي مساهمة الشعب في وضعه في قالبه الخاص به ، ثم يمضي زايلر فيشرح طبقات المثل التي تتلاءم وطبقات الشعب ، فهناك أمثال الطبقة الدنيا ،وأمثال الطبقة الوسطى ،وأمثال طبقة المفكرين ، فالمثل الشعبي الحقيقي يعيش بين الطبقتين الأوليتين ، أما الثالثة لا يعيش بينها بوفرة ، في حين تكثر الأقوال المأثورة التي رواها التاريخ وضاع اسم قائلها على أن الطبقتين الأوليتين تنطويان على جماعات صغيرة 13.

 وتكمن صعوبة معرفة قائل المثل تاريخه ومنبعه في عدم اهتمام الناس بمعرفة القائل ، لأن المهم بالنسبة لهم هو مدى تعبيره عما تزخر وتختلج به نفوسهم ،ومع ذلك يمكن إرجاع بعض المعاني أو بعض الألفاظ إلى حقبة زمنية معينة حسب ما توحي به الألفاظ ، وبالإضافة إلى تنويع مصادر الأمثال ، وتفاوت أزمنة صدورها ، يجعلنا أمام أمثال متضاربة أحيانا مثل: القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود ، و : أصرف مافي الجيب يأتيك مافي الغيب ، وفي هذا يرى رابح العوبي أن هذا الخلاف بين المثلين راجع إلى الفوارق في أصلها ، أو في مدى تأثيرهما على النفس تأثيرا يدفع الشخص للتعبير عن تجربته تعبيرا يلخص نتيجتها المطابقة لها لتعيش مرة أخرى بما يوافق تجربته ، وتجارب الناس قد تختلف وقد تتفق في نتائجها ، فقد يكون المثل الأول دعوة للفقير بالتقشف في ظرف ما ، قد يكون المثل الثاني دعوة للميسور بالإنفاق ، بالتالي فكل مثال نابع أو موجه لفئة معينة "14.

قد لا نتمكن من التعرف على الزمن الأول الذي أبدعت فيه الأمثال الشعبية للوهلة الأولى ، على اعتبار أننا سبق وتحدثنا في خصائص الأدب الشعبي ، وعن جميع أجناسه أنه يرتقي فوق عاملي الزمان والمكان أولا ؛ حيث أن المثل لا يمكن اعتباره مثلا إلا بعد حدوث الواقعة أو الحادثة في حياة الإنسان وبعد زمن ،وبعد تجربة مشابهة له يمكن استحضار الحادثة الأولى كتجربة أولى وإسقاطها على الحادثة المماثلة لها أو المشابهة لها ، وعلى هذا الأساس يصعب التوصل إلى التاريخ الأول أو المنشأ و المنشئ الأول له ، ولكن المهم أن نشير إلى أنه لايمكننا أن ننفيأو نتلافى أن الإنبثاقة الأولى لأي عمل أدبي سواء كان شعبيا أم رسميا أكاديميا فصيحا ، كانت لشخص فرد وفي زمان أو مكان معين ، لكن بفعل ظروف خاصة كالمشافهة ، والرواية الشفهية ، أو مهنة الراوي التكسبية التي تفرض عليه شروطا خاصة كالزيادة أو النقصان ،أو التركيز على مقطع من النص دون غيره ، ـوطول الزمن الذي مرّ به هذا المثل أو هجرته عبر الزمان والمكان كل هذه الظروف تؤثر على معرفة أصل المثل ونشأته ، أو مبدعه الأول

**-مميزات المثل الشعبي وخصائصه :**

يمتاز المثل الشعبي كغيره من فنون الأدب الشعبي و أجناسه ، بمجموعة من المميزات والخصائص ، والصفات التي نبعت في الأساس وللوهلة الأولى من خصائص الأدب الشعبي عموما ، وهذا ما تؤكده الباحثة والدارسة المتخصصة في مجال الأدب الشعبي الدكتورة نبيلة إبراهيم سالم ، التي حددت خصائصه من خلال تعريفه في :15.

**1-**المثل خلاصة تجارب ومحصول الخبرة .

**2-**المثل يحتوي على معنى يصيب التجربة والفكرة في الصميم .

**3-**المثل يتمثل فيه الإيجاز وجمال البلاغة ، فإذا حاولنا أن نطبق هذه الخصائص على المثل الشعبي فإننا نجدها لا تقتصر عليه وحده وإنّما تتعداه إلى أشكال أدبية أخرى كالحكم المأثورة ، والنكتة الشعبية والفردية .

ويمكننا أن نستنبط مجموعة من الخصائص التي عرضها"فريدريك زايلر" في مقدمة كتابه : " علم الأمثال الألمانية " الذي نشر عام 1922، في تعريفه الذي قال فيه : " القول الجاري على ألسنة الشعب الذي يتميز بطابع تعليمي ، وشكل أدبي مكتمل يسمو على أشكال التعبير المألوفة "16.

ومنه نستنتج الميزات التي عرضها زايلر فيما يلي :

**1-**إنه ذو طابع شعبي .

**2-**ذو طابع تعليمي .

**3-**ذو شكل أدبي مكتمل .

**4-**يسمو عن الكلام المألوف رغم أنه يعيش في أفواه الشعب.

ومن هنا فالمثل من وجهة نظره لابد أن يحتوي على فلسفة ليست بالعميقة مصبوغة بأسلوب شعبي ، بحيث يدركها الشعب بأسره ويرددها ، والشعب حسبه يخلق شكلا أدبيا مكتملا بأي حال من الأحوال ، وإنما يعتمد كل خلق وابتكار على شخصية مفردة ، فهو حينئذ ينتشر بينهم وكأنه عبارة ذات أجنحة ، فالمثل إذن خلق فردي فيما يراه زايلر، وهو ينتشر بين أفراد الشعب قبل تحويره وتهذيبه ، وقبل أن يتخذ شكله الأدبي الخاص به ، على أن زايلر و إن كان على حق في مساهمة الفرد والجماعة في خلق العمل الأدبي الشعبي ، فإن المثل من وجهة نظرنا لا يصبح المثل مثلا ، ولا يصبح عبارة ذات أجنحة ،إلا في المرحلة الثانية الانتقالية أي عندما يساهم الشعب في وضعه في قالبه الخاص به 17.

 كما يتميز المثل بجملة من الخصائص أهمها :

**-**الطابع الشعبي :

ويتمثل في أسلوبه الذي يتضمن فلسفة شعبية بسيطة نابعة من الحياة اليومية الجارية ،لأنها نابعة من التجربة الشخصية والفردية المصبوغة بالروح الشعبية .

**-**الطابع التعليمي :

حيث يطلعنا المثل على حقيقة تجربة قد تخص المثل، نتيجتها في جملة من القول سهلة ميسرة بسيطه غير أن دلالاتها جدا واسعة .

**-**الطابع الفني :

اللغة المعتمدة والمستعملة في المثل بحكم طابعه الشعبي ، تعتمد على لغة التواصل الاجتماعي اليومي ؛ وهي اللهجة الدارجة أو العامية التي تخلصت كليا من القواعد الإعرابية والنحوية والصرفية وحتى اللغوية ، وهو ما أسهم في سهولتها وبساطتها ويسر تداولها ، بحيث لا تضع حواجز ولا ضوابط يتعسر على المتلقي أو المنتج المبدع على السواء الخوض فيها .

**-**الطابع الفلسفي :

يمثل المثل الشعبي فلسفة بسيطة حينا ومعمقة أحيان أخرى ، فهي فلسفة فرد بعينه أو الجماعة برّمتها ، فقد تنقل الأمثال لنا الحياة الاجتماعية والنفسية ، بصورة أمينة وعلى فترات مختلفة ، حتى يتسنى لها كشف النقاب عن مكنونات الواقع الاجتماعي أو النفسي ، مثل 18 :

يا صاحب كون صبّار أصبر على ما جرالك

أرقد على الشوك عريان حتى يطّلع نّهارك

**-**الطابع الإيقاعي أو النغمي :

تتسم الأمثال بطابعها الإيقاعي التناغمي ، المجسد في التناسب و التوازي والاعتدال في الأجزاء ، و الانسجام في المحسنات البديعية كالطباق أو المقابلة ، أو السجع والتقديم والتأخير ،فتتنوع التراكيب التي تتراوح بين القصر والطول ، وقد تكون مرسلة أو تكون مسجوعة فتكون متسلسلة أو متباعدة ، وقد يحدث أن تكون مصحوبة بجمل معترضة أو مكررة "18،يقول المثل الشعبي وهو من الرباعيات19.:

سوق النّسا سوق مطيار يادّاخّلوا رّد باللك يوّريوللك من الربح قنطار ويخّسروك في راس ماللّك.

وهناك مثل آخر :

ياقلب نكّويك بالنّار وايلا يّريت نّزيدك ياقلّب خلفتلي العار وتّريد من لا يريدك .

شفيتني يا مسكين وشفنّي حالّلك الزّين ماتاخّذوا والدّين ماينّعطاللك .

**-**الطابع الإيديولوجي :

قد يحمل المثل الشعبي في طياته ، أفكارا ومواقف ، وذهنيات وروئ ، حيث يقوم بعرض الفكرة أو الموقف ، ثم يطرح المجال للغير مفتوحا سواء بتقبل النصيحة أو التوجيه أو الرفض ، كما يترك المجال للغير للمشاركة الواسعة في شرح وتوسيع مدلولاته ، مثال : " الزّمان طويل ، والبغّلة عثّارة 20" مدلوله عميق ونتائجه تستشف على المدى الطويل والبعيد ، فلا يمكن أن يبقى الزمن على حاله ، ولا الدّهر على حدثانه .

**-**الطابع الأدبي :

تعتمد الأمثال الشعبية على خاصية الإيجاز والاختصار ، فميزته الأساسية هي ما قلّ ودّل ، حيث يدّل قليل الكلام فيه على الكثير ، اذ يشتمل على قدر قليل بسيط من الألفاظ في مقابل المعاني والمدلولات المتراكمة المتتابعة التصاعدية التنازلية التي يحملها ،فتعدد المعنى للموضوع الأول تبدوا في الظاهر متناقضة مثل : " خوك خوك ، لا يغرك صاحبك " أو" خوك من واتاك موش خوك من أمك وباباك"21. والتي تكشف النقاب عن خبايا ومضامين وخصوصبات الواقع الاجتماعي، كما أن الاستخدام الفني للألفاظ وحسن اختيارها يضمن لها موائمة الموضوع وملائمته ، حيث يمنحها معان لا تنو ط بها كلمات غيرها ، ويربطها بأفكار ربطا قويا ومعمقا لصيقا بطبيعة الإنسان الشعبي وطريقته في التعبير ذات الأساليب المتباينة ، يقول المثل الشعبي : " ألّلي عطاه العاطي مايشقّى مايبّاطّي ، وألّلي عطّاه العاطّي كلشي يجيه واطّي حنّى لجبّال ليه تطّاطّي22 " هو مزيج بين الفصحى والعامية أورده المبدع الشعبي للدلاله على معاني دينية وهي الإيمان بالقضاء والقدر ، غير أن ألفاظها وأسلوبها راقّ وجدا وفني وجمالي .

**-**الطابع التداولي التراثي :

الرواية الشفهية من أهم الخصائص المميزة للمثل ؛ فهي التي تحقق له الانتشار والتداول حتى تحفظ له الاستمرارية والخلود ، هذا الذي يطبعه بطابع التراثية والخلود ، فهي تنتقل عبر الأجيال المتعاقبة عن طريق الرواية والمشافهة من فم إلى فم ، متحدية الزمان والمكان مهاجرة عبر الزمن ، مكونة أسلوب حياة تركت بصماتها عبر تعاقب الحضارات والأمم .

**-**الطابع الأخلاقي :

يمثل الصدق والصحة في التعبير خاصية لا تقل أهمية عن الخصائص السالفة الذكر ، فهو يحتوي على مواقف قوية لا تخضع لقوة سلطان أو حاكم أو مسؤول ،حتى في المواقف الأشد إحراجا فهي تتمسك بأفكارها ومواقفها ، متحدية كل سلطة متسلطة مهما كان جبروتها وعنفوانها .حتى أنه لا يأنف أو يستحي آراء النقاد والدارسين له ، فهو يشتمل على معان ومدلولات تصيب الذاكرة والفكرة في الصميم ، مثل " أخّرجّ لربّي عّريان يكّسيك"23 ومعناه يحث على المجابهة والمواجهة وعدم الخوف ، والإقبال على فعل الأمر دون خوف أو تردد ؛ والتأكيد على الصراحة والوضوح في المواقف الصعبة .

**-**الطابع البلاغي :

يتميز المثل الشعبي بجودة الكناية ، وحسن التعبير فهو : " خلاصة التجارب ومحصول الخبرة ، وهو يسمو عن الكلام المألوف رغم أنه يعيش في أفواه الشعب "24.، هو إذن يمثل قمة البلاغة وأجودها حسنا وقيمة في الدلالة على المعنى المراد ، والصيغة المطلوبة ، كما يتسم بحسن التشبيه ، ولا يخفى أن حسن التشبيه مطلب بلاغي بحت .مثل : " يا دّاقّ الماء في المهراسّ كلّي مربّي ذّرية النّاس " لقد شبه المبدع الشعبي في هذا المثل الماء في المهراسّ وطريقة دّقه مثل الشخص الذي يربي أبناء غير أبنائه ، لأنه لا فائدة من الأمرين ؛ فالأول يدقّ الماء في المهراس وهذا لا طائل منه ولا فائدة ولا نتيجة ترتجى منه ، أما الثاني وهو الإنسان فهو عندما يربي أبناء غيره حتى وإن كانوا أبناء أقرب الناس إليه فإنه سوف يأتي اليوم ويعودون لأهاليهم وهذا ما يعبر عنه المثل الشعبي الثاني وفي ذات المعنى :" بنيان الطين لا تعليه يعيا ويطّيح ساسّه ، وولد النّاس لا تربيه يكبر ويرجع لنّاسه " فهذا التشبيه زاد من القيمة الفنية والجمالية للمثل الشعبي .

**-أهمية المثل الشعبي :**

**ا**لمثل الشعبي جنس من الأجناس الأدبية ذات التعبير الشعبي ، المرتبط بتجارب الناس وعصارة الأحداث التي رافقت حياتهم ،وجملة الخبرات التي اكتسبها في مشواره الحياتي ، تلك الطباع التي تلّبسها من خلال كل الوقائع ، فهو يعكس الخلفية التاريخية جراء ممارسته لحياته ذاتها بفرديته التي تداركتها الجماعة الشعبية واستوعبتها ثم تبنتها ؛ لتنتقل للملكية الجمعية بكل سلاسة دون الوقوف على الخصوصية الفردية أو التأكيد عليها .

يعبر المثل على فكر ووجدان جماعي حيث : " استحوذ المثّل على شعبية كبيرة بشيوع استخدامه في كل مناسبة قولية ، أو كتابية استخدمه السياسيون في خطبهم ، والأدباء في أشعارهم ونثرهم واستخدمه العامة في حديثهم العادي للإستشهاد أو التوجيه ، وذلك لأنه يحمل عصارة التجارب الإنسانية ، سواء اتفقت في النتائج أو اختلفت ، فعندما نسمع المثل : " كب البرّمة على فمّها تخرج الطّفلة لأمها "، فهو يعبر عن مدركات الحياة ويصّح أن يصبح قاعدة ، ولكننا نفاجأ بما يناقضه تماما كالمثل : " النّار تولد الرّماد" فالرّماد ليس مثل النّار ، لأنّه خال من الحرارة فالمثلان يقف كل منهما على حدى ليعبر عن تجربة مفردة ، كل هذا يدل على أن عالمنا عالم تجريبي 25.

ويلخص العالم السويدي "كارل باكسترم " أهمية الأمثال في :

**1-**تتحدث الأمثال عن سعادة من يتداولها وعن شقائهم وعن الغنى والفقر ، والشرف والخزّي والجمال والقبح ، والضعف والعظمة والوضاعة .

**2-**الأمثال من الناحية العلمية تريح النفس وتواسيها وتسخر وتمرح ثم تهزل في الوقت الذي تتضمن فيه أفكار جادة .

**3-**تلقّن الأمثال الدّرس بأسلوب من المرح الحاذق ، وهي مليئة بكنوز من الأحكام السليمة والحكمة العلمية و العدالة و المشاركة العاطفية ، ثم السخرية اللّاذعة الذكية وإن لم تكن كلها من هذا الطراز.

**4-**تتكرر نفس الأمثال عند شعوب العالم المختلفة وإن لم تكن من الناحية الشكلية معبرا عنها بنفس الألفاظ .

**5-**تستقبح الأمثال الرذيلة وتعّلي من شأن الفضيلة فهي بهذه الصفة ذات قيمة تهذيبية 26.

المثل الشعبي له مقدرة واسعة على التأقلم والتعبير على كل المواقف التي يمر بها الإنسان ؛ وبالتالي فهي تحاول طرحها وابرازها من جهة ، ومن جهة ثانبة فهي تحاول إيجاد حلول لها ، وهذا مواكبة ومرافقة لكل موقف ، وعليه فهي – أي الأمثال – قد تتمتع بنوع من الرّيادة و الصادرة لمرافقتها الحدث والتجربة وقد تكون لها حتى الأسبقية والأولوية على بعض الأجناس الأدبية ، وهي أيضا تحمل في طياتها رسائل قد تكون مدسوسة في ثنايا العبارات ، أو تكون واضحة جلية ومباشرة فغدت دستورا عاما ، ومنهاجا للعامة والخاصة .

 : " وقد ترجع أهمية الأمثال لما قد تحتويه من دّلالات تتعلق بتاريخ فترة من الفترات في عمر الأمة العربية ، بل وأثر الأحوال السياسية والاقتصادية على فكر العامة من ناحية والخاصة من ناحية ثانية ، وهي ربما تكشف جانبا خطيرا من جوانب المزاج العام للعصر ، قد لا تستطيع الدراسات التاريخية أو الاجتماعية المباشرة الكشف عنها "27.

**6-**وقد تستقبح الأمثال الرذيلة وتعلي من شأن الفضيلة ، فهي بهذه الصفة ذات قيمة تهذيبية 28.

 لا يمكن تحديد القيمة الحقيقية للمثل الشعبي ، ولا نستطيع أن نفيه المكانة الحقا كيف لا وهو بالنسبة لقائله بمثابة الحجة الدامغة ، والدليل القاطع والذي يمكن من خلاله أن تكون له الأحقية والأفضلية في الرأي ، كما يمكن أن تقنع آرائه الآخرين وتكون حجة له لا عليه ،

كانت الأمثال ولا تزال مهمة بالنسبة للقدامى أو المحدثين ، فهي حاضرة في حياة الأقوام البشرية الأولى وحتى المعاصرة لاسيما وأنها عدّت منهاجا يصل حدّ القداسة في زمن تمّر فيه الحضارة بأزمات ثقافية واجتماعية وحتى إنسانية ، فهي على مستوى الحياة الإنسانية اليومية حاضرة بقوة وتعتمدها جميع الأطياف على اختلاف انتماءاتها وميولاتها ومذاهبها وتوجهاتها ، وعلى مستوى الحياة الأدبية فقد حضر بقوة في النصوص الأدبية الحديثة والمعاصرة ، واعتمدته الأقلام الأدبية لإثراء مؤلفاتها وصبغتها بطابع عصري يزاوج بين الشعبي والرسمي ، أو بين ما هو أكاديمي وتراثي شعبي ؛ وهو ما طبعها بطابع فني وجمالي جعلها محل استحسان وقبول من طرف المتلقي .

**-تأثيرها :**

أثرت الأمثال على الشعوب بصورة واضحة جلية ، حيث يمكن التعرف على الكثير من خصوصيات المجتمع ، والتعرف على شؤون الناس ، ومعرفة أحوالهم من خلال تلك الأمثال التي تواضعوها ، ويؤكد الكثير من الباحثين والدارسين على الأهمية القصوى للأمثال في حياة الشعوب ، وعلى الدور الفعّال الذي تقوم به ، وعلى المكانة العالية في حياة الناس بالرغم من وجود بعض الأمثال التي تشكل بمعانيها المجانبة للصواب حينا ، حجر عثرة أو نقطة سوداء في تاريخ الأمثال وتداولها ، فحينما يقول المثل الشعبي : " أسأل المجرب ولا تسالش الطبيب "28،فحينما يصدق المتلقي بصحة هذا المثل ومصداقيته رغم حاجته الملحة لارتياده الطبيب ،مع ذلك يفضل مسألة المجرب على زيارة الطبيب رغم إمكانية صدقه ، فهو في هذه الحالة يعرض نفسه لمضاعفات هو في غنى عنها ، وقد تتسبب في نتائج وخيمة على صحته وعلى حياته أيضا ، لذلك وجب التحفظ في اعتماد بعض الأمثال التي تشكل خطرا أوحتى تهديدا واضحا لمصالحنا ، أو أعمارنا ، كما أنه توجد هناك بعض الأمثال المشجعة للتكاسل والخمول ، والدعوة للتماطل عن العمل رغم أنه عبادة ، في هذه الحالة يجب أخذها والتعامل بها بكل موضوعية وعقلانية وتفكير حاضر حتى يستنبط منها الخطأ من الصواب والحقيقة من الكذب ، والواقعية من الخيال ، ولعل هذا المثل أكبر دليل على ذلك : " كل عطلّة فيها خير "29 فهو مثل يشجع على التراخي و التماطل في العمل وعدم الاجتهاد فيه بل يدعو إلى تأجيله وتوّسم الخير والفلاح في تركه ، وهذا عكس ما جاء المثل القائل: " لاتؤجل عمل اليوم إلى الغد" 30، لعله من أهم الأمثال المتداولة عند معظم شعوب العالم وبجميع لغاته فهو في الثقافة الإنجليزية :

"أي : " غدا لا يأتي أبدا " بمعني غدا سوف لن يأتي أبدا.Tomorrow never comes "

فلا مجال لتأجيل العمل إلى الغد ، هذه بعض العيّنات التي تحمل بعض الدلالات المجانبة للصواب حسبنا ، ولكن هذا لايعني عدم الأخذ بالكثير من الأمثال الشعبية ، فقد تطرح قضايا ذات تأثير إيجابي على المجتمع الشعبي ، لأنها طرقت كل موضوع وأي موضوع له علاقة بالشعب ، كما أنها ليست موجهة لفئة دون الأخرى أو لطبقة معينة ، وإنما هي موجهة للجميع ، لذلك فأنت تكتشف الأعراف والقيم ، والعادات والتقاليد ، والمعتقدات من خلال ما تنتجه الأمة، والأمثال الشعبية واحدة من أهم و أبرز هذا المنتوج .

**قائمة المصادر والمراجع :**

**1-**أبو الفضل جمال الدّين محمد ابن الأكرم ابن منظور الأفريقي، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1968، ج11، مادة مثل .

**2-**أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، دار ابن حزم للطباعة والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 2008، ص،ص 3-4.

**3**-الميداني أبي الفضل ، مجمع الأمثال ، منشورات دار مكتبة الحياة ،ط2، بيروت ، لبنان ، دت ، مج1، ص 13.

**4-**رابح العوبي ، أنواع النثر الشعبي ، منشورات جامعة باجي مختار ، عنابة ، دت ،ص41.

**5-**رابح العوبي ، المثل واللّغزالعاميان ، ط1، 2005،دم، ص،ص3-4.

**6-**رابح العوبي ، أنواع النثر الشعبي ، مرجع سابق ، ص،ص، 39-41.

**7-**نبيلة إبراهيم ، أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، دار غريب ، ط3، القاهرة ، مصر ، 1981،ص175 .

**8-**أحمد رشدي صالح ، فنون الأدب الشعبي ، دار الفكر ، ط1، 1956،ج1،ص .6

**9-ا**لآية 17 من سورة البقرة .

**10-**الآية 45 من سورة الكهف .

 **11-**حلمي بدير ، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث ،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،ط2، الإسكندرية ، مصر ،1997،ص33.

**12-**عكاش جواد ،الأمثال دراسة مفصلة ،مقال تم نشره في الموقع الالكتروني بتاريخ :04/12/2011.

https:// plus.google.com

**13-**نبيلة إبراهيم ، أشكال التعبير ، مرجع سابق ،ص176.

**14-**رابح العوبي ، المثل واللّغز العاميّان ،مرجع سابق ،ص،ص،45-46.

**15-**نبيلة إبراهيم ،أشكال التعبير ،مرجع سابق، ص ص174-175 .

**16-**نبيلة إبراهيم ،نفسه ،ص ص،174-175.

**17-**المرجع نفسه ، ص،ص175-176 .

**18-**أمثال شعبية سائرة للشيخ :عبد الرحمان المجذوب .

**19-**رابح العوبي ،أنواع النثر الشعبي ، مرجع سابق ،ص 72.

**20-**لخضر حليتيم ، صورة المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية ،دراسة تحليلية دلالية مقارنة ،دار النشر المؤسسة الصحفية بالمسيلة ،دط، المسيلة ،الجزائر ،2010،ص،ص47-48 .

**21-**نبيلة إبراهيم ، مرجع سابق ، ص175 .

**22-** مثل شعبي سائر نقلناه على لسان الشيخ موسى ،متقاعد،69سنة ، المسيلة ، بتاريخ : 12 ،2017 .

**23-**المصدرنفسه .

**24-**لخضر حليتيم ، صورة المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية ، ص،ص ،47،48 .

**25-** المرجع نفسه ،ص50 .

**26-**محمد الراوي ،موسوعة الأمثال الشعبية في الوطن العربي ،دط ، دت ،دم .

**27-**حلمي بدير ،أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث ،ص36 .

**28-**محمد الراوي ،موسوعة الأمثال الشعبية في الوطن العربي .

**29-**أمثال من الذاكرة الشعبية ، الشيخ موسى ، مصدر سابق ، المسيلة ، 12،2017 .

**30-**عصام خليل ،مقال بمجلة ،العدد98، 2009،الموقع الالكتروني:

[www.nahwalhadaf.com.makala](http://www.nahwalhadaf.com.makala)